موسوعة
المعرفة المسيحية
الفِكرُ العربيّ المَسيحيّ
١٠

إيليّا النَّصيبينِيّ

بقَلَم
المطران لويس ساكو

www.christianlib.com

دار المشرق
بيروت

www.christianlib.com

موسوعة
المعرفة المسيحية

الفِكرُ العَرَبيّ المَسيحيّ

١٠

إيليّا النَّصيبينِيّ

بقَلَم
المطران لويس ساكو

دار المشرق
بيروت

www.christianlib.com

لا مانع من طبعه

بولس دحدح
النائب الرسوليّ للاتين في لبنان
جعيتا، في ١٢/ت٢/٢٠٠٩

جميع الحقوق محفوظة، طبعة أولى ٢٠٠٩
دار المشرق ش م م،
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠، لبنان
http://www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-5303-3

التوزيع: **المكتبة الشرقيّة ش.م.ل.**
الجسر الواطي - سنّ الفيل
ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان
تلفون: ٤٨٥٧٩٣ (٠١)
فاكس: ٤٨٥٧٩٦ (٠١) - ٤٩٢١١٢ (٠١)
Website: www.librairieorientale.com.lb
E-mail: admin@librairieorientale.com.lb
E-mail: libor@cyberia.net.lb

www.christianlib.com

إيليّا بن عيسى من مواليد ١١ شباط سنة ٩٧٧ في مدينة السنّ القريبة من كركوك، وليست السنّ-سنندج الإيرانيّة. يذكر في رسائله بعض التفاصيل عن سيرته: ترهّبه في دير مار ميخائيل على ضفّة نهر دجلة الشرقيّة بجوار الموصل[١]، ودرسه على يد الملفان يوحنّا الأعرج: «كان في عمر مار ميخائيل بالموصل راهب شيخ زاهد اسمه يوحنّا ويعرف بالأعرج. وكنت من بعض تلاميذه والمختصّين به» (**المجالس**، ورقة ٦٧). رُسم كاهنًا ثمّ رئيس كهنة في العام ٩٩٤. وصار أسقفًا على بيث نوهذرا-دهوك الحاليّة في العام ١٠٠٢، ثمّ مطرانًا على أبرشيّة نصيبين مركز مقاطعة بيث عرباي، سنة ١٠٠٨. وتوفّي في ١٨ تمّوز ١٠٤٦[٢] ودفن في كنيسة ميافرقين إلى جانب قبر شقيقه الطبيب أبي سعيد منصور.

---

(١) طالع عن تاريخ هذا الدير، الخوري أفرام رسّام، **تاريخ دير مار ميخائيل**، الموصل، ١٩٦١.

(٢) الأب فيه، **أحوال النصارى**، ص ٢٧٩.

www.christianlib.com

مؤلّفاته

كتب إيليّا في الأدب والعلوم والتاريخ والفقه واللاهوت والحوار. وتكشف كتبه عن «عقل متحرّر ونقديّ جدًّا»[٣].

نذكر من كتبه على سبيل المثال كتاب **المجالس**، ويهمّنا لعلاقته بالمسلمين. هذه الكتب ساهمت في تقارب وجهات النظر بخصوص مسائل دينيّة حسّاسة دافع عنها بجرأة كلّ من إيليّا وأبي القاسم. ومنها كذلك كتاب **دفع الهمّ والتراجم**[٤].

من هو أبو قاسم المغربيّ؟

هو الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن يوسف، خدم والده سيف الدولة الحمدانيّ وابنه سعد. وتنقّل أبو القاسم بين مصر وفلسطين والعراق والجزيرة. وفي دياربكر عهد إليه أميرُها أبو نصر أحمد بن مروان بن دوستك

---

(٣) الأب سمير خليل، مجلّة **إسلامو-كريستيانا** ٣، رقم ١٥، ١٩٧٧، ص٢٧٦.

(٤) عن مؤلّفاته، راجع الأب يوسف حبي، **فهرس المؤلّفين** لعبديشوع الصوباويّ، ص ٢٢٧، والأب ألبير أبونا، **الأدب الآراميّ**، ص ٣٨٢-٣٨٥، وعمّانوئيل دلي (البطريرك)، مجلّة **بين النهرين**، العدد ٤٣، السنة ١٩٨٣، ص٧٦-١٦٧.

www.christianlib.com

الكرديّ الحميديّ الوزارةَ[٥]. يبدو أنّ الوزير كان مثقّفًا ثقافة شاملة وله حسّ نقديّ سليم، وهاتان الصفتان جعلتاه منفتحًا، ومرحًا، ومِضيافًا، ورجل حوار بامتياز. وهناك حادثة حصلت له[٦] تكشف عن هذه الصفات النبيلة. ففي إحدى رحلاته تعب وفقَد الشهيّة، فنزل في دير للرهبان بالقرب من ميافرقين وطلب إلى راهب في الدير أن يأتيه بقليل من الشراب، لكنّ معدته لم تقبله، فبادر الراهب إلى إعطائه شيئًا من عصير الرمّان ودعاه إلى تناوله كبَركة. فتناوله الأمير وطاب، فعدّ هذا الشفاء معجزة يتحدّث عنها أينما حلّ. فاحتار: كيف يكون النصارى مشركين وتحدُث مثل هذه الآيات في أديارهم؟ فلا بدّ من أنّ هناك لبسًا في الفهم! وتوفّي في ١٥ تشرين الأوّل ١٠٢٧م، ونقل جثمانه إلى الكوفة بحسب وصيّته.

كتاب المجالس

إنّ هذه المجالس - الحوارات عقدت في مدينة نصيبين ثلاث مرّات، في أثناء زيارات قام بها الوزير أبو القاسم إلى

(٥) طالع عنه مقال أ.د. محمّد كريم إبراهيم الشمريّ، «مجالس مار إيليّا (برشينايا) مطران نصيبين مع الوزير أبي القاسم حسين»، مجلّة **بين النهرين**، العدد ١٤٥-١٤٦، السنة ٣٧، ٢٠٠٩، ص١٨-٤٩.

(٦) محمّد الشمريّ، ص٢٣.

www.christianlib.com

نصيبين، ولقائه مطرانها إيليّا الذي تُظهر مناظرته جوًّا من الثقة والاحترام المتبادل ممّا سمح للمطران أن يجيب عن سؤال الأمير: «ألكم من العلوم مثل ما للمسلمين»؟ أجاب: «نعم وبوفرة. قال الوزير: وما الدليل عليه؟ أجاب إيليّا: إنّ عند المسلمين علومًا كثيرة منقولة من السريان وليس عند السريان علم منقول من عند العرب»[٧].

نشر هذه المجالس الأب لويس شيخو في مجلّة **المشرق** البيروتيّة العامَيْن ١٩٠٢ و١٩٠٦. كما نشرها في خمس حلقات العام ١٩٢٢ وتتضمّن أسئلة وأجوبة عن العقيدة المسيحيّة كالتوحيد والتثليث والتجسّد، والأخلاق والزهد عند الرهبان، والتوبة وموضوعات أخرى متنوّعة في العلم والأدب. جمع إيليّا هذه الحوارات في كتاب بُعَيد وفاة الوزير العام ١٠٢٧، وصادق عليه رئيس ديوان البطريركيّة أبو الفرج عبد الله بن الطيّب[٨].

الكتاب يتضمّن مقدّمة وسبعة مجالس وخاتمة. يحكي فيه إيليّا كلّ ما جرى بينه وبين الوزير المغربيّ، ويحتوي الكتاب

(٧) الأب فيه، ص ٢٨٠.
(٨) دلي، ص ١٦٥.

www.christianlib.com

على معلومات تاريخيّة وأدبيّة قيّمة. يظهر باع إيليّا الطويل في المعرفة، وفي بعض الأحيان نجده أقدر من الوزير في معرفته الإسلام[٩]. وقد نهج نهجًا حاذقًا في الشرح والتخلّص من مأزق الأجوبة وصعوبتها.

أسلوبه وحِجّته

إنّ أسلوب إيليّا أسلوب مباشر على شكل سؤال وجواب ويُظهِر أسلوب طيموتاوس نفسه مع الخليفة المهدي.. أجوبته عمومًا مقتضبة يعتمد فيها على **الكتاب المقدّس** و**القرآن** الكريم والمنطق والجناس في تقريب وجهة نظره إلى السائل المثقّف. نستشفّ ذلك من خلال هذه المجالس-الحوارات، وهذه مختارات منها نقتبسها من مجلّة **المشرق** المارّ ذكرها.

(٩) الشمرتي، **مجالس إيليّا**، ص ٣٥.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

نصوص مختارة
من المجالس

www.christianlib.com

المجلس الأوّل

التوحيد والتثليث

واتّفَقَ دخول الوزير رحمه الله إلى نصيبين يومَ الجمعة السادس والعشرين من جمادى الأولى من السنة الماضية وهي السنة سبع عشرة وأربعمائة (حزيران ١٠٦٢م)، ودخلتُ عليه يوم السبت بعده وما كنت رأيته قبل ذلك، فقرّبني وأكرمني، وأجلسني بالقرب منه. وبعد أن دعوت له وهنّأته بقدومه نهضت لأنصرف فاستوقفني وقال لي: إعلم أنّ لي مدّة طويلة أوثر الاجتماع بك والاستكثار منك وأريد أن يكون حضورك وانصرافك من عندي في كلّ وقت على إيثاري واختياري.

فأجبته بالسمع والطاعة وجلست، وبعد بسطه إيّاي وتأنيسه بي واستعلامه أخباري ومجاري أموري وذكر العلماء وأهل العلم، قال لي: إعلم أنّ رأيي قديمًا في النصارى هو رأي مَن يحقّق أنّهم كفّار ومُشركون، وأمّا الآن فأنا أشكّ في كفرهم وشركهم، لآيةٍ عجيبةٍ شاهدتها من مذهبهم. وأشكّ

www.christianlib.com

أيضًا في توحيدهم، لأشياء فظيعة يعتقدونها تقتضي أن يُشكّ في أنّهم غير موحّدين.

قلت: ما الذي شاهده الوزيرُ أطال الله بقاءَه يقضي الشكّ في كفرهم، وما الذي يعتقدونه ممّا يوجب الشكّ في توحيدهم؟

قال: أمّا ما شاهدته ممّا يوجب الشكّ في كفرهم فهو أنّي عند كوني في الدفعة الأولى في ديار بكر، توجّهت إلى بدليس في مهمّات عُرضت عليّ، فألمّ بي عند وصولي إليها مرض عظيم سقطت منه قوّتي، وبطلت شهوتي، فأيِستُ من نفسي، وخرجتُ منها راجعًا إلى ميافارقين حتّى إذا قضى الله سبحانه وتعالى عليّ ما لا بدّ منه فكان بها أو بالقرب منها. وكانت نفسي لا تقبل شيئا من الطعام ولا الشراب، فتكلّفتُ من تعب الطريق والركوب مشقّةً عظيمة. وكنت أسير في كلّ يوم مسافة قصيرة والضعف يتزايد، والقوّة تنقص، والمرض يشتدّ ويصعب، فوصلتُ إلى دير في الطريق يُعرف بدير مار ماري وأنا أضعف ممّا كنت عليه، والمرض أقوى ممّا كان. فساعة نزولي به وتأمّلي ما أنا عليه من الضعف، استدعيت شيئًا من الشراب وتناولته رجاء أن يمسك قوّتي، فبحصوله في معدتي ألقيتُه فازدادت نفسي ضعفًا، وأيِستُ منها، وقلق جميع مَن كان معي. فحضرني الراهب الموسوم بخدمة الدير ودعاني

www.christianlib.com

وأحضر معه شيئًا من الرمّان وسأل الغلمان أن يفتّوه ويعرضوا عليّ شيئًا منه. فعرفوا أنّي لست أستطيع أن أتكلّم ولا أن أسمع الكلام، وأنّ نفسي لا تقبل شيئًا من الطعام، ومعدتي لا يثبت فيها شراب ولا غيره. فألحّ عليهم وقال لهم: أحبُّ أن تحملوه إلى أن يستعمل ولو يسيرًا من هذا الرمّان فإنّه ينتفع منه ببركة هذا الدير المبارك. فأومأ إليّ بعض الغلمان بقبول قوله تشَبُّثًا بالعافية، وتناولت من الرُمّان شيئًا يسيرًا فثبت في معدتي فاشتدّت، فلم أزل أستعمل شيئًا بعد شيء حتّى قويتْ نفسي ونهضت شهوتي. وكان الراهب قد طبخ للغلمان عدسًا فاستدعيت شيئًا منه، فأكلتُ بشهوة وقمت في الحال وتمشّيت متفرّجًا على السطح، ورجعت إلى حال الصحّة. فتحيّرت وتعجبّت أنا وكلّ مَنْ معي بسبب ما جرى. وأنا الآن إذا تذكّرت ذلك أعجب منه وأعتقد أنّه عجيبة قد تحصل في كلّ وقت وفي كلّ مكان ولأيٍّ كان. فهذا ما أوجب عليّ اعتقاد أنّ النصارى ليسوا بكُفّار ولا مشركين.

وأمّا ما أوجب أن أعتقد أنّهم مشركون فهو أنّهم يعتقدون أنّ الله تعالى جوهر، ثلاثة أقانيم، فيؤمنون بثلاثة آلهة فيعبدون ثلاثة أرباب، ويعتقدون أنّ عيسى المأخوذ من مريم هو أزليّ خالق غير مخلوق.

www.christianlib.com

قلت: كلّا. لا يؤمن النصارى بثلاثة آلهة ولا بثلاثة أرباب، ولا يعتقدون أنّ الناسوت المصطفى المأخوذ من مريم هو أزليّ غير مخلوق.

قال: ألستم تقولون إنّ الله تعالى جوهر، ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس؟

قلت: نعم، كذلك نقول.

قال: أولستم تقبلون الأمانة التي دوّنها الثلاثمائة والثمانية عشر وقرّروها؟

قلت: نعم، نقبلها ونعظّمها.

قال: فقولكم إنّ الله جوهر، ثلاثة أقانيم: آب وابن وروح قدس كفرٌ وإشراك بالله. والأمانة التي قرّرها الثلاثمائة والثمانية عشر ودوّنوها تتضمّن أنّ يسوع الذي هو عندكم البشريّ المولود من مريم هو ربّ أزليّ خالق غير مخلوق.

قلت: إن كان غرض الوزير من هذا القول معرفة مذهبنا وبراءة ساحتنا ممّا نسب إلينا من الشناعة، أوردت ما عندي، وإن كان غرضه المناظرة والمجادلة فأنا أسأله أن يعفيني من ذلك وينعم عليّ بالعدول عنه إلى ما يتعلّق بالشرع والمذهب.

www.christianlib.com

قال: والله العظيم ما أقصد في ما أخاطبك فيه إلّا معرفة اعتقادكم وبراءة ساحتكم ممّا ينسب إليكم من مظهر شنيع وربّما كان باطنه جميلًا. وإنّ سروري بما تورده ممّا ينفي عنكم الشكّ مثل سروري بفائدة كثيرة أنالها، فإنّني أعتقد أنّ كلّ نصرانيّ موحّد محمود فائز، ولو كان لا يعترف بنبوّة محمّد بن عبد الله. وإنّما شرط الاستفهام التقصّي في السؤال والمعارضة، فلا تنسب ما يرد من ذلك منّي إلّا إلى الاستقامة ولا إلى حال آخر.

فشكرته وقلت: قد أجمعَ الشرعيّون العقليّون على أنّ للعالم علّة أوجدته وهي مدبّرة له، ولا تخلو هذه العلّة من أن تكون إمّا قائمة بنفسها وإمّا موجودة في غيرها، إذ ليس شيء موجودًا إلّا وهو قائم بنفسه، أو موجود في غيره. ومن المحال أن يكون خالق كلّ شيء موجودًا في شيء آخر كما توجد الأعراض. فإذا بطل أن يكون موجودًا في غيره ثبت أنّه قائم بنفسه. ونحن نسمّي القائم بنفسه جوهرًا.

قال: فقولكم إنّ الله جوهر يؤدّي إلى القول بأنّ الله متحيّز وقابل للأعراض لأنّنا لا نجد في المشاهد جوهرًا إلّا متحيّزًا وقابلًا للأعراض.

www.christianlib.com

فقلت: وقول المسلمين أعزَّهم الله: إنّ الله قائم بنفسه يؤدّي إلى القول بأنّ الله متحيّز وقابل للأعراض لأنّنا لم نجد في المشاهد قائمًا بنفسه إلّا متحيّزًا وقابلًا للأعراض. فإن ألزمنا المسلمون القول بأنّ الله متحيّز وقابل للأعراض لِقولنا إنّه جوهر إذ لم يجدوا في المشاهد جوهرًا إلّا متحيّزًا قابلًا للأعراض، ألزمْناهم القول بأنّ الله متحيّز وقابل للأعراض لِقولهم إنّ الله موجودٌ ليس بعَرَض إذ ليس يوجد في المشاهد موجود ليس بعرض إلّا متحيّزًا وقابلًا للأعراض. فإن كان ذلك لا يلزمهم، كذلك لا يلزمنا نحن القول بأنّ الله متحيّز أو قابل للأعراض لِقولنا بأنّ الله جوهر.

قال: فإذا كان دليلكم على أنّ الله جوهرٌ كونه قائمًا بنفسه إذ لم يجدوا في المشاهد قائمًا بنفسه إلّا جوهرًا، فلزمكم القول بأنّ الله تعالى جسم إذ لا يوجد في المشاهد جوهر إلّا جسمًا.

قلت: وإذا كان دليل المسلمين على أنّ الله مستغنٍ بوجوده عن كلّ محلّ يحلّ فيه، كونه قائمًا بنفسه، إذ لم يوجد في المشاهد قائم بنفسه إلّا مستغنيًا بوجوده عن محلّ يحلّ فيه، فلزمهم القول مثلنا بأنّ الله جسم لكونه قائمًا بنفسه إلّا جسمًا. وكذلك إذا لزمنا القول بأنّ الله جسم لِقولهم إنّه حيّ

www.christianlib.com

فاعل قادر عالم إذ لا يوجد في المشاهد حيّ فاعل قادر عالم إلّا جسمًا. وإذا كان ذلك لا يلزمهم كذلك لا يلزمنا نحن أيضًا القول إنّ الله جسم لِقولنا إنّه جوهر.

قال: إنّ المسلمين لم يلزمهم القول بأنّ الله تعالى جوهر لحالَيْن، أحدهما أنّ حقيقة الجوهر معناه عندهم هو ما شغل حيّزًا أو قبل عرضًا. والبارئ تعالى غير متحيّز وغير قابل عرضًا. والآخر أنّ كتابهم ولغتهم لم يُطلقا عليه اسم الجوهر، فلذلك لم يلزمهم القول بأنّ الله جوهر.

قلت: وكذلك النصارى، إنّما يلزمهم القول بأنّ الله جوهر لحالتين: إحداهما أنّ حقيقة الجوهر ومعناه هي أنّه وحده عندهم هو القائم بنفسه والبارئ تعالى أيضًا قائم بنفسه. والحالة الأخرى أنّ كتابهم ولغتهم أطلقا عليه اسم الجوهر، فلذلك لزمهم القول بأنّ الله جوهر عبارة عن القائم بنفسه، وإنّما عبّروا عن القائم بنفسه بالجوهر لأنّهم لم يجدوا في لغة العرب لفظة تصلح أن يعبّروا بها عن القائم بنفسه غير اسم الجوهر، ولذلك يسمّون كلَّ موجود قائم بنفسه جوهرًا. قديمًا كان ذلك الموجود إمّا مُحدَثًا بسيطًا أو مركّبًا، شاغلًا حيّزًا أو غير شاغل حيّزًا، قابلًا عرضًا أو غير قابل عرضًا. فإن أنكر المسلمون حفِظَهم الله تسميتَنا البارئَ سبحانه جوهرًا عبارة عن

www.christianlib.com

القائم بنفسه، فليدُلّونا على اسم في لغتهم ينوب عن القائم بنفسه نيابة أوقع من اسم الجوهر لنستعمله بدلًا من الجوهر، أو ليجيزوا لنا استعمال اسم الجوهر لمعنى القائم بنفسه إن علموا أن ليس في لغتهم لفظة تَصْلُح لأن يعبَّر بها عن القائم بنفسه غير اسم الجوهر لنعتمده، أو ليعترفوا لنا بأنّه ليس في لغتهم اسم يجوز أن يعبَّر به عن القائم بنفسه ذلك، فنسمّي كلّ موجود قائم بنفسه قائمًا بنفسه فقط، وأيّ قسم اختاروا من هذه الأقسام الثلاثة وافقناهم عليه.

قال: نحن نجيز لكم القول بأنّ الله جوهر بمعنى القائم بنفسه؛ فما معنى قولكم إنّ الله ثلاثة أقانيم: آب وابن وروح قدس؟

قلت: قد اتّفقنا على أنّ الله جوهر بمعنى القائم بنفسه. وليس يخلو هذا القائم بنفسه من أن يكون حيًّا، أو غير حيّ، لأنّه ليس شيءٌ قائم بنفسه إلّا هو إمّا حيّ وإمّا غير حيّ، ومن المحال أن يكون خالق الحياة ومحدث كلّ شيء غير حيّ. إنّ البارئ تعالى قائم بنفسه حيّ. ثمّ لا يخلو هذا القائم بنفسه الحيّ من أن يكون ناطقًا أو غير ناطق، لأنّه ليس حيّ إلّا هو إمّا ناطق وإمّا غير ناطق، ومن المحال أن يكون خالق الناطقين ومحدث النطق غير ناطق، فنقول إنّ البارئ تعالى

www.christianlib.com

قائم بنفسه حيّ ناطق. ثمّ ليس حيٌّ إلّا بحياة ولا ناطقٌ إلّا بنُطق، فنقول إنّ البارئ تعالى قائم بنفسه، حيّ بحياة، ناطق بنطق.

والذي نريده بقولنا «نطق» غير ما يذهب إليه المسلمون بقولهم «النطق»، وذلك أنّ حدَّ النطق عندهم هو حركة اللسان لدى كلّ حيوان بصوت مسموع، وهو عامّ في ما يعقل وفي ما لا يعقل. وأمّا النطق عندنا فهو يخصّ ما يعقل دون ما لا يعقل. وهو على ضربَيْن: نطق الصوت ونطق الفهم، فنطق الصوت يكون باصطكاك الأجسام والهواء، وهذا النطق لا يوجد إلّا في الأجسام القابلة الموت. وأمّا نطق الفهم فهو القوّة النطقيّة الموجودة في النفس التي بوجودها يوجد العلم، والحكمة، والمعرفة، وإدراك الأشياء، وبِعَدَمها يعدم جميع ذلك.

وهذا النطق يخصّ كلَّ موجود لا يموت مثل النفس الناطقة والملائكة والبارئ تعالى. ولمَّا كان الإنسان مركّبًا من جسد مائت ونفس غير مائتة، حصل له النطقان: أعني نطق الصوت ونطق الفهم. وعلى هذا الوجه نقول إنّ الله تعالى ناطق، كما نسمّيه جوهرًا بمعنى أنّه قائم بنفسه، لا لأنّه متحيّز ولا قابل للأعراض كسائر المخلوقات، ونسمّيه حيًّا بمعنى أنّ

www.christianlib.com

له حياة وروحًا، لا لأنّه حيوان كسائر الأحياء، وكذلك نسمّيه ناطقًا بمعنى أنّه ذو نطقٍ، لا لأنّه كسائر الناطقين الذين أُعطوا النطق.

قال: أمّا قولكم إنّ الله حيّ وإنّه ناطق بمعنى حكيم فسائغ، وأمّا قولكم إنّه حيّ بحياة وناطق بنطق فهو قول يؤدّي إلى الشرك، لأنّكم تثبتون مع الله قديمَيْن آخرَيْن وهما الحياة والنطق.

قلت: فقول من يقول إنّ الله حيّ بلا حياة وناطق بلا نطق يؤدّي إلى القول بأنّ الله غير حيّ وغير ناطق لأنّه لا حيّ إلّا بحياة ولا ناطق إلّا بنطق، كما لا نحويّ إلّا بنحو ولا مهندس إلّا بهندسة. وذلك أنّ الأسماء المشتقّة هي مأخوذة من معانٍ موجودة تُسمّى بها الأسماء المشتقّة بحسب مقتضى اللغات والقوانين المنطقيّة، والحيّ مشتقّ من الحياة، والناطق مشتقّ من النطق. فلزم من ذلك ألّا يكون حيّ إلّا بحياة ولا ناطق إلّا بنطق.

وأيضًا إنّ الوزير، أيّدَه الله، يعلم أنّ أهل السُنّة من المسلمين حرسَهم الله يعتقدون أنّ الله حيّ بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، مُريد بإرادة، متكلّم بكلام، سميع بسمع، بصير

www.christianlib.com

ببصر؛ فإن كان النصارى مشركين لِقولهم إنّ لله حياةً ونطقًا، فأهل السنّة من المسلمين أحقّ منهم بالشرك لاعتقادهم أنّ لله حياة وعلمًا وقدرة وكلامًا وإرادة وسمعًا وبصرًا. وإن كان أهل السنّة موحّدين مع إثباتهم لله ذلك، فالنصارى أيضًا موحّدون مع إثباتهم لله حياة ونطقًا.

وما يدلّ على أنّ الله حيّ بحياة، وناطق بنطق، هو أنّ قولنا «قائم بنفسه» يفيدنا معنى غير المعنى الذي يفيدنا قولنا «ناطق»، وغير المعنى الذي يفيدنا قولنا «حيّ». وقولنا قائم بنفسه حيّ ناطق يفيدنا ثلاثة معان هي الذات والنطق والحياة، ونحن نسمّي النطق كلمة إذ لا نطق إلّا بكلمة ولا كلمة إلّا بنطق، ونسمّي الحياة روحًا لأنّ لا حياة إلّا بروح ولا روح إلّا بحياة. ولمّا كانت ذات البارئ تعالى غير قابلة الأعراض والتركيب بطل أن يكون نطقُه وحياته أعني كلمته وروحه عرضَيْن أو قوّتَيْن مركّبَتَيْن، ثبت أنّهما جوهران مساويان للذات في الجوهريّة والقِدَم. ولمّا ثبت ذلك بطل أن تدخل عليهما الأعراض كما تدخل على نطق المخلوقين وعلى حياتهم. لذلك حصلت الذات مجرّدةً من غير عرَضَ وغير قابلة الأعراض. والنطق الذي هو الكلمة غير عرض وغير قابل الأعراض. والحياة التي هي الروح غير عرض وغير قابلة

www.christianlib.com

الأعراض. وكلّ موجود ليس بعرض فهو بقسم الضرورة إمّا جوهر عامّ وإمّا أقنوم خاصّ بحسب ما بيّنه أرسطاطاليس في كتاب **القاطيغورياس** حيث تكلّم على الجوهر والعرض.

فلمّا بطلت الذات والكلمة والروح أن تكون ثلاثة أعراض أو ثلاثة جواهر عامّة، ثبت أنّها ثلاثة أقانيم خواصّ، ولمّا كانت الذات علّة ولادة الكلمة وعلّة انبثاق الروح، وكانت الكلمة مولودة من الذات كولادة النطق من النفس والضوء من الشمس، وكانت الروح منبعثة من الذات كانبثاق الحياة من النفس والحرارة من الشمس، سُمّيت الذات أبًا والكلمة ابنًا والحياة روحًا قدسًا. وكما أنّ ذات النفس ونطقها وحياتها نفس واحدة، وذات الشمس وضياءها وحرارتها شمسٌ واحدةٌ، كذلك الذات الإلهيّة والكلمة والروح إلهٌ واحد. ولذلك نقول إنّ الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم: آب وابن وروح قدس.

قال: قولكم إنّ الله كلمة وروح هما أقنومان قولٌ غير معقول.

قلت: قولنا إنّ الله ناطق حيّ قولٌ معقول، وقولنا إنّه ناطق بنطق وحيّ بحياة وإنّ نطقه هو كلمته وحياته وروحه،

www.christianlib.com

وإنّ كلمته وروحه ليستا عرضَيْن ولا قوّتَيْن مثل كلمة المخلوقين وحياتهم، كلّ ذلك قول مفهوم معقول. وقولنا إنّه إذا بطل أن تكون كلمته وروحه عرضَيْن أو قوّتين ثبت أنّهما أقنومان قول معقول ضروريّ. فقولنا إذًا إنّ الكلمة والروح هما أقنومان هو قول معقول ضروريّ. ولو قيل إنّه غير معقول لوجب أن ننكر على المسلمين أقاويل كثيرة غير معقولة كقولهم إنّ لله يدَيْن خلق بهما آدم، وهما مبسوطتان لا مغلولتان. فإنّ هذا منهم غير معقول، ولذلك يعترفون بأنّ اليدين في الله ليستا بجارحتين. وإذا سئلوا عن ماهيَّتهما لم يجيبوا بجواب معقول.

قال الوزير: إنّ يدَي الله تعالى هما نعمته وقدرته.

قلت: لو كانت يدا الله هما نعمتُه وقدرتُه، لما كان لتخصيص آدم أنّه خُلق بيد الله معنًى، إذ كلّ الأشياء لم تُخلق إلّا بنعمة الله وقدرته، فبطل من هذا الوجه أن تكون يدا الله نعمتَه وقدرتَه، وكذلك كلّ صفتَيْن تَذكران أنّهما يدا الله تُنقضان بآدم، فيحصل قولهم إنّ لله يدَيْن عندهما صفتان مجهولتان، فلا يجب أن ينكروا على النصارى قولهم إنّ كلمة الله وروحَه هما أقنومان معروفان لا مجهولان.

قال: فلمّا كان اعتقاد النصارى أنّ البارئ تعالى إله واحد

www.christianlib.com

بحسب ما وصفتَ، فما الذي حملَهم على أن يقولوا إنّه ثلاثة أقانيم: آب وابن وروح قدس، فيوهمون السامعين أنّ الله تعالى ثلاثة أشخاص أو ثلاثة آلهة أو ثلاثة أجزاء؟ وبقولهم إنّ لله ابنًا يوهمون مَن لا يعرف اعتقادهم أنّهم يريدون بذلك ابن المباضعة والتناسل، فيظهرون على أنفسهم تهمة هم بريئون منها.

قلت: ولمّا كان اعتقاد المسلمين أنّ البارئ تعالى غير ذي جسم وغير ذي جوارح وأعضاء وغير محصور في مكان، فما الذي حملَهم على القول إنّ لله عينَيْن يبصر بهما ويدَيْن يبسطهما وساقَيْن يكشفهما ووجهًا يوليه إلى كلّ جهة وإنّه يأتي في ظلّ من الغمام فيوهمون السامعين أنّ لله تعالى جسمًا وأعضاء وجوارح، وأنّه ينتقل من مكان إلى مكان في ظلّ من الغمام، فيظنّ مَن لا يعرف اعتقادهم أنّهم يجسّمون البارئ تعالى، حتّى إنّ قومًا منهم اعتقدوا ذلك واتّخذوه مذهبًا؟ ومَن لا يتحقّق اعتقادَهم اتّهمَهم بما هم منه بريئون.

قال: العلّة في قول المسلمين إنّ لله عينَيْن ويدَيْن ووجهًا وساقَيْن يكشفهما وإنّه يأتي في ظلّ من الغمام هي أنّ **القرآن** نطق بذلك، والمراد فيه غير ظاهر اللفظ. فكلّ مَن يأخذ ذلك على ظاهرِهِ ويعتقد أنّ لله عينَيْن ويدَيْن ووجهًا وساقَيْن

www.christianlib.com

وجوارح وأعضاء، وأنّ ذاته تنتقل من مكان إلى مكان وغير ذلك ممّا يقتضي التجسّم والتشبّه، فهُم يلعنونه ويُكفِّرونه.

قلت: وكذلك العلّة في قول النصارى إنّ الله واحد في ثلاثة أقانيم: آب وابن وروح قدس هي أنّ **الإنجيل** نطق بذلك، والمراد به الله تعالى وكلمته وروحه. وكلّ مَن يعتقد أنّ الأقانيم الثلاثة هي ثلاثة آلهة أو ثلاثة أجسام أو ثلاثة أجزاء أو ثلاثة أعراض وثلاث قوى مركّبة أو غير ذلك ممّا يقتضي الشرك والتشبيه والتجزيء والتبعيض، وأنّ المُراد بذكر الأب والابن أبوّة أو بنوّة نكاح أو تناسل أو مباضعة أو جماع أو ولادة من زوجة أو من بعض الأجسام أو من بعض الملائكة أو من بعض المخلوقين، فهُم يلعنونه ويحرمونه.

قال: والله قد سررتُ بما أوردت عن النصارى وإن كان فيه ما يحتمل الجدال ومناقضة رأي مَن يدفع إثبات الصفات لله من المسلمين. وهذا قريب إلى ما كنت أعتقده بخصوصهم. وإنّما بقيت الشبهة الأخرى وهي قولهم إنّ يسوع البشريّ المولود من مريم هو ابن أزليّ خالق غير مخلوق، مولود من الله قبل كلّ الدهور؛ فما رأيك في ذلك؟

قلت: أيّد الله الوزير. ليس النصارى يعتقدون أنّ البشريّ

www.christianlib.com

أي الناسوت المأخوذ من مريم هو أزليّ، خالق غير مخلوق، ولا أنّه هو مولود من الله قبل كلّ الدهور، بل يعتقدون أنّ هذا الناسوت مخلوق محدث لا يتميّز عن سائر الناس إلّا بأنّه لا يعرف الخطيئة.

قال: أفلستم تقبلون الأمانة التي قرّرها الثلاثمائة والثمانية عشر [أي قانون الإيمان]؟

قلت: نقبلها كما نقبل **الإنجيل** ونعظّمها كما نعظّمه.

قال: أفليس يتضمّن ما هذه حكايته: نؤمن بالإله الواحد الآب حاوي الكلّ، خالق السموات والأرض، ما يُرى منها وما لا يُرى، وبالربّ الواحد يسوع المسيح بن الله الوحيد، بكر الخلائق، المولود من أبيه قبل كلّ الدهور، نور من نور، إله حقّ من إله حقّ، من جوهر أبيه، مولود وليس بمخلوق؟

قلت: هذا من لفظ الأمانة ولا شكّ فيه ونحن نقبله ولا ندفعه.

قال: فقد لزمكم إذًا القول بأنّ يسوع البشريّ المولود من مريم إله أزليّ حقّ مولود من أبيه قبل كلّ الدهور، وليس بمخلوق حسبما يقتضيه القول.

www.christianlib.com

قلت: أيّد الله الوزير: ما يلزمنا ذلك لأنّ المعنى الذي نشير إليه بقولنا يسوع وذلك الذي نريده بقولنا الربّ في هذا الموضع هو الكلمة الأزليّة. والذي نريده بقولنا يسوع مطلقًا هو البشريّ المأخوذ من مريم وإن كان اسم الربّ يقع على يسوع واسم يسوع يقع على الربّ في عدّة مواضع، لأجل الاتّحاد. والذي نريده بقولنا المسيح هو المعنيان معًا، فالربّ الذي هو الكلمة أزليّ خالق، ويسوع الذي هو البشريّ مأخوذ من مريم. فإذا كان الأمر على هذا بطُل أن يكون يسوع الذي هو البشريّ المأخوذ من مريم أزليًّا قديمًا خالقًا مولودًا من أبيه قبل كلّ الدهور وليس بمخلوق. وممّا يدلّ على ذلك دلالة واضحة هو أنّنا نعتقد أنّ يسوع الذي هو البشريّ مأخوذ من مريم.

www.christianlib.com

المجلس الثاني

في حلول ابن الله واتّحاده بالطبيعة البشريّة

ولمّا كان يوم الأحد بعده أنفذ الوزير في طلبي، فصرتُ إليه. وبعد استلامه أخباري وأقاويل جميلة أوردها عليّ، دعوت له لأجلها. قال لي: إعلم أنّي فكّرت في ما أوردته في توحيد النصارى، وإنّما عرضت لي شبهة أخرى تقتضي الشكّ فيهم.

قلت: يذكرها الوزير أيّده الله، لأقول ما عندي فيها.

قال: أليس النصارى يقولون بالاتّحاد؟

قلت: نعم.

قال: وكيف يصحّ لكم التوحيد مع قولكم إنّ الله تعالى حلّ في البشريّ المأخوذ من مريم، وأنتم تعلمون أنّه ليس يخلو من أن يكون قد حلّ فيه كمثل العرض في الجوهر، وهذا ما يؤدّي إلى القول إنّ الله تعالى عرض، أو كحلول الجسم،

www.christianlib.com

وهذا دليل على أنّ الله جسم، والقولان كُفر. ثمّ ليس يخلو أيضًا من أن يكون الجوهر الإلهيّ كلّه على الكمال حلّ في البشريّ المأخوذ من مريم أو بعضه، فإن كان كلّه حلّ فيه فقد انحصر، وإن كان حلّ بعضه فقد تجزّأ وتبعّض، والقولان كفر.

قلت: إنّ حلول البارئ سبحانه وتعالى في البشريّ المأخوذ من مريم لم يكن كحلول العرض في الجوهر، لأنّه تعالى ليس بعرض، ولا كحلول الجسم في الجسم لأنّه ليس بجسم، ولم يحلّ الجوهر كلّه على الكمال ولا بعضه لأنّه لا ينحصر في مكان دون مكان، ولا يتجزّأ ولا يتبعّض، فيحصل بعضه في مكان وبعضه في مكان آخر، لكنّ حلوله تبارك وتعالى كان حلول الوقار والرضا والمشيئة، لا حلول الذات والجوهر، لأنّ ذاته وجوهره في كلّ مكان بالسويّة، وإنّما يحلّ في مكان دون مكان، وفي شخص دون شخص، حلول الوقار والرضا والمشيئة كحلول في السماء دون الأرض، وفي البيوت المتّخذة لعبادته دون غيرها، وفي الأنبياء والمصطفين دون غيرهم من المبشّرين .

قال: إن كان حلول البارئ في البشريّ المأخوذ من مريم حلول الوقار والرضا والمشيئة كحلول في الأنبياء والأبرار

www.christianlib.com

الذين حلّ فيهم برضاه ومشيئته، فلا فرق بينه وبينهم، وإن لم يكن بينه وبينهم فرق فما يجب أن تفضّلوه عليهم.

قلت: إنّ اسم الحلول من الأسماء المشتركة التي يقع كلّ اسم منها على أشياء مختلفة، مثل اسم الوجود الواقع على البارئ تعالى، وعلى الإنسان وعلى الأرض والنار والحجر وغير ذلك من الموجودات، ومثل اسم الحيوان الواقع على الإنسان والثور والحمار وغير ذلك من الحيوانات. وكما لا يداني الإنسان البارئ تعالى وإن كان اسم الموجود يقع عليهما معًا، كذلك الأنبياء لا يدانون البشريّ المأخوذ من مريم لوقوع الحلول فيه وفيهم. لأنّ الحلول فيه كان حلول الاتّحاد الذي لا يلحقه افتراق، وحلول الرضا والمشيئة الكاملة، والحلول فيهم غير حلول الاتّحاد وغير حلول الكمال. ولو جاز أن يساوي بعض الأنبياء البشريّ المأخوذ من مريم لأجل وقوع اسم الحلول عليهم معًا لجاز أن يساوي تلاميذ المسيح سيّدهم في النبوّة لوقوع اسم النبوّة عليهم وعليه من موجب قوله: «أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»، فكما قال إنّ الله تعالى أبوه وأبوهم وهم غير متساوين في النبوّة، كذلك يقال إنّ الله حلّ فيه وفي الأنبياء من غير أن يساويه الأنبياء في الحلول، فإنّ الحلول فيه يتميّز عن الحلول

www.christianlib.com

في الأنبياء والأبرار لأسباب عدّة منها: إنّ الابن الأزليّ الذي هو الكلمة اتّحد به فصار مسيحًا واحدًا. فلذلك نسميّه نحن المسيح، وتسمّونه أنتم كلمة الله، وليس في الأنبياء مَنْ يسمّى عندنا وعندكم كلمة الله إلّا المسيح من موجب الاتّحاد. ومنها أنّه لم يكن من جماع ولا عرف الجماع. ومنها أنّ له من الآيات ما ليس لغيره من الأنبياء والمصطفين. ومنها أنّ الله رفعه إلى السماء، وهو هناك حيّ وليس في الأنبياء من رفعه الله إليه. ومنها أنّه لم يعرف الخطيئة لا فكرًا ولا قولًا ولا فعلًا، وليس في الأنبياء من شهد له **الكتاب** على مثل ذلك. وإذا كانت هذه أوصافه وجب أن يكون الحلول فيه غير الحلول في غيره.

قال: إنّ هذه الأوصاف كلّها التي تنسبونها إلى هذا البشريّ قد توجد جميعها في الأنبياء، وذلك أنّ قولكم إنّ المسلمين يسمّونه كلمة الله، فذلك لأنّه خلق بأمر الله كما خلق كلّ شيء من الأشياء قائلًا: كُنْ فكان. وتقولون إنّه من غير جماع، فآدم أيضًا كان من غير جماع. وتقولون إنّه لم يعرف الجماع، فيحيى بن زكريّا لم يعرف الجماع. وتقولون إنّ له آيات ومعجزات تفرّد بها، فليس له آية ولا معجزة، إلّا ولموسى مثلها. وتقولون إنّ الله رفعه إليه، إلى السماء،

www.christianlib.com

فإدريس أيضًا رفعه الله إليه إلى السماء. وتقولون إنّه لم يعرف الخطيئة، فسائر الأنبياء معصومون من الخطيئة. وإن كان هؤلاء الأنبياء قد ساووه في هذه الأوصاف وجب أيضًا أن يساووه في الحلول، وإذا كان الأمر هكذا فلا فضْلَ له عليهم.

قلت: لو كان الأمر على ما يزعم المسلمون أنّهم يسمّون المسيح كلمة الله لأنّه خلق بأمر الله كالمخلوقات كلّها، فهذا ينتقض إذ لو كان ذلك، ما كان بينه وبين سائر المخلوقات فرق لأنّ كلًّا منهم حتّى الدوابّ وسائر الأجسام العديمة الحياة خلق بأمر الله. ولو كان ذلك كذلك لما كان لتخصيص المسيح بهذا الاسم معنًى، ومن المحال أن يختصّ باسم لم يختصّ به غيره دون معنى. وإذا ثبت أنّه لم يُسَمَّ كلمة الله لأنّه خلق بأمر الله، ثبت أنّه سمّي كلمة الله لاتّحاد الكلمة الأزليّة به، كما يسمّى الجسد ناطقًا لاتّحاد النفس الناطقة به. وأمّا قولكم: إنّه لا فرق بينه وبين آدم في كونهما من غير جماع، فجوابه أنّ كون آدم من غير جماع ليس هو بفضيلة لآدم، إذ خلقت كلّ الحيوانات الأولى أيضًا من غير جماع. وذلك أنّ آدم كان من غير جماع في وقت لم يكن فيه ذكر وأنثى يكون منهما. والبشريّ المأخوذ من مريم تفرّد في ذلك في وقت كان فيه عدد الذكور لا يحصى، فيمكنه أن يكون من نسل أحدهم. ولأنّ الله أظهره في مثل ذلك

www.christianlib.com

الوقت من غير ذكر، فقد شرّفه بذلك على جميع البشر. ثمّ إنّ المسيح قد فُضِّل على آدم وعلى سائر البشريّين، لأنّ آدم خالف ربّه وعصاه في الفردوس. والناسوت المصطفى من مريم لم يعرف الخطيئة أصلًا. وآدم أُبعد من الجنّة وقد رُفع المسيح إلى السماء. ثمّ إنّ آدم توعّده الله بالكدّ والشقاء والجوع والتعب والعودة إلى الرميم والتراب. والمسيح شرَّفه الله وعظّمه وأعطاه أشرف الأسماء، وأجلّ الألقاب، ووعد تابعيه بالنعيم في الجنّة. فإذا كان على هذا الحال، فليس ينبغي أن يقاس البشريّ المأخوذ من مريم بآدم، وإن تساويا في الجوهريّة والبشريّة. وإذ تقولون إنّ لا فرق بينه وبين يحيى بن زكريّا في العفّة من الجماع، وإنّه لم يختصّ بهذه الفضيلة وحده، فنحن إنّما أردنا كون المسيح جمع شخصه الفضيلتَيْن معًا، أي الكون من غير جماع والعفّة من غير جماع. لأنّ آدم لم يكن من جماع، لكنّه عرف الجماع، ويحيى بن زكريّا لم يعرف الجماع، لكنّه ولد من جماع. والناسوت المأخوذ من مريم لم يكن من الجماع، ولا عرف الجماع، وهذه الفضيلة ليست لآدم ولا ليحيى. وقولكم إنّه لم يكن للمسيح شيء من الآيات والمعجزات إلّا ولموسى مثلها ينتقض لأنّ موسى لم يذكره بعض من تقدّمه من المصطفين. ولمّا أرسله الله إلى فرعون لم يظهر الله على يده

www.christianlib.com

معجزة على الفور، ولكن عن أمر من الله أو بَعد تَضَرُّع. وفي آخر عمره غلط غلطًا منعه الله بسببه من دخول الأرض المقدّسة. فتضرّع وسأل وابتهل أن يغفر له ويسامحه بالدخول إليها فلم يقبل سؤاله. وأمّا السيّد المسيح فإنّ الأنبياء ذكروه وبشّروا به قبل ظهوره بأكثر من ألفَيْ سنة، وقالوا فيه إنّه هو المنتظر وصاحب الأمر والمرتجى للأمم. وكانت آياته ومعجزاته على الفور ولا على التراخي، ومن غير تضرّع إلى الله، مثل قوله للميت «قم» فيقوم وللمقعد «انتصب» فينتصب وللأبرص «شئت فاطهر» فيطهر، وللمريض «قد برئت» فيبرأ، وللأعمى «قد أعطيت البصر» فيبصر، وللشيطان «أخرج من الإنسان» فيخرج، ولهيجان البحر «أسكت» فيسكت، وغير ذلك ممّا نطق به **الإنجيل المقدّس**. وقد شهد **القرآن** على أنّه تكلّم في المهد وأنّه كان يعمل من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه فيكون طيرًا (**سورة آل عمران ٤٦-٤٩**). وما سبيل مَن كان يعتقد ذلك من المسلمين أن يقيس أمر موسى بالمسيح في أمر الآيات والمعجزات التي جرت على أيديهما.

وقولكم إنّه لا فرق بين المسيح وبين إدريس في رفعهما فمردود من موجب **الإنجيل** عند النصارى ومن موجب **القرآن** عند المسلمين، لأنّ **الإنجيل** لا يدلّ على أنّ إدريس في

www.christianlib.com

السماء والقرآن أيضًا، وإن كان يدلّ على أنّه رفع إلى مكان عليّ (سورة مريم ٥٦-٥٧)، إلّا أنّه لم يذكر أنّه في السماء. أمّا المسيح فيدلّ الإنجيل على أنّه رفع إلى أعلى السموات، ويدلّ القرآن أيضًا عليه (سورة آل عمران ٥٥) بقوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. فبقوله ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يدلّ على رفعه إلى غاية العلوّ والعظمة في المنزلة. فإذا كان الأمر على هذا، فليس يقاس أمر المسيح في ارتفاعه إلى السماء بأمر إدريس.

وقولكم إنّه لا فرق بينه وبين سائر الأنبياء في العصمة من الخطيئة فجوابه أنّ الخطيئة تكون إمّا بالفكر وإمّا بالقول وإمّا بالفعل، وليس في الأنبياء مَن يشهد له الكتاب بالعصمة من السهو والغلط في فكره وقوله وفعله. والإنجيل وكتب الأنبياء الذين بشّروا بالمسيح تدلّ على أنّه لم يعرف الخطيئة لا فكرًا ولا قولًا ولا فعلًا.

فإذا كان الأمر هكذا وكان البشريّ المأخوذ من مريم قد اتّحد بالابن الأزليّ الذي هو الكلمة وصار مسيحًا واحدًا وليس كذلك سائر الأنبياء والصالحين، وجب القول أن تكون فضيلة الحلول متميّزة فيه عن الحلول فيهم كتميّزه بينهم.

www.christianlib.com

المجلس الثالث

في إقامة الدليل على توحيد النصارى من القرآن

وفي يوم الثلاثاء مستهلّ جمادى الآخرة حضرت مجلس الوزير فقال لي: تأمّلت ما أوردته في معنى توحيد النصارى فاستحسنته، ثمّ رجعت إلى **القرآن** الشريف فوجدته يدفعه بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ (**سورة المائدة ٧٣**). وهو يصفهم في مواضع كثيرة بالشرك. قلت: ليس يلزمني أيّد الله الوزير ما ورد في **القرآن**، ومع أنّه لا يلزمني ذلك، فأنا أقيم الدليل منه على أنّ النصارى موحّدون. وذلك أنّا نجده تارة يشهد لهم بالتوحيد وتارة بالشرك. وإذا كان الأمر على هذا، فليس يخلو من أن يكون إمّا متناقضًا وإمّا أن يشير بالتوحيد إلى طائفة منهم، وبالشرك إلى طائفة أخرى. وما أظنّ أنّ في المسلمين حرسَهم الله مَنْ يقول إنّه متناقض، فيلزم القول إنّ المراد بوصفه النصارى بالتوحيد أشار إلى طائفة منهم، وبالشرك إلى طائفة أخرى. فأمّا

www.christianlib.com

الموحّدون الذين يشهد **القرآن** على توحيدهم، ونعرف أنّهم مُقِرّون بأنّ الله واحد، فهؤلاء هم نحن [أي النساطرة] واليعاقبة والملكيّة ومَن يجري مجرانا من النصارى. وأمّا المشركون منهم فقوم يتشبّهون بالنصرانيّة كالمرقيونيّة والديصانيّة والمانويّة والطريثونيّة أي المثلّثة، وغيرهم ممّن ينتسب إلى النصرانيّة وهم بريئون منها وبعيدون عنها. فأمّا المرقيونيّة فيعتقدون ثلاثة آلهة: إلهٍ عادل وإلهٍ رحيم وإلهٍ شرّير. وأمّا الديصانيّة والمانويّة فيقولون بصانعَيْن وإلهَيْن: أحدهما خالق الخير والنور والآخر خالق الشرّ والظلمة. وأمّا الطريثونيّة أي المثلّثة فيقولون بثلاثة آلهة وثلاثة أرباب وثلاثة معبودين وثلاثة جواهر، ونحن نعتقد أنّهم والمرقيونيّة والديصانيّة والمانويّة ملحدون ومخالفون الشرع. وأمّا الأقاويل الدالّة على توحيدنا من **القرآن** فمنها ما ورد في سورة البقرة حيث يقول (٦٢): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ فقد دلّت هذه الآية على أنّ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قال: قد اختلف المفسّرون في هذه الآية، فقال بعضهم

www.christianlib.com

نسخت بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (سورة آل عمران ٨٥). وقال آخرونرإ إنّ المراد بها هو أنّه إنّما يستحقّ اليهود والنصارى والصابئون الأجر في الآخرة إذا أسلموا، لا إذا كانوا على أديانهم.

قلت: إنّما قول مَن قال إنّ صحّة هذه الآية منسوخة يناقض ما أذكره وهو أنّ الكلام ينقسم إلى أقسام عدّة، فمنه خبر استخبار، ومنه طلب، ومنه إنذار، ومنه أمر. والنسخ لا يقع إلّا في الأمر، لأنّه لو وقع في الخير أو غيره من أقسام الكلام غير الأمر كان اختلافًا وتضادًّا. وإنّما جاز وقوع النسخ في الأمر لأنّه يحسن في الأمر فيأمر المرء بأمر ما في وقت ما لمصلحة يوجبها لذلك الوقت، ويأمر بعد ذلك الوقت بغير ذلك الأمر لمصلحة أخرى. فأمّا مَن يخبر بخير ما ثمّ يخبر بغير خبر ضدّه فقبيح، ولذلك جاز وقوع النسخ في الأوامر دون غيرها من أقسام الكلام. والأوامر على ضربَيْن: فرائض وغير فرائض، والنسخ لا يقع إلّا في الفرائض. والفرائض على ضربَيْن: منها عقليّة مثل فرض التوحيد، وفرض شكر النعم، وطاعة الوالدَيْن وصلة الرحم. ومنها سمعيّة مثل تعظيم يوم بعد يوم وإجلال موضع دون موضع وتحريم طعام دون طعام وغير ذلك من الفرائض السمعيّة، فلا

www.christianlib.com

يقع النسخ إلّا فيها دون العقليّة، لأنّه يستحيل أن ينسخ فرض التوحيد أو فرض شكر النعم أو فرض طاعة الوالدَيْن أو فرض صلة الرحم. وإذا كان النسخ لا يقع إلّا في الأوامر وكانت هذه الآية إخبارًا لا أمرًا، بطل أن تكون منسوخة. وممّا يدلّ على أنّها لم تنسخ ما ورد في **القرآن**: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (**سورة المائدة ٣**). وما بعد التمام والكمال شيء آخر. وأمّا قول مَن يقول إنّ المراد بآية البقرة إنّما هو «أن اليهود والنصارى والصابئين يستحقّون الأجر في الأخرة إذا أسلموا لا إذا كانوا على أديانهم» فيبطل أيضًا، لأنّه لو كان المراد فيها ذلك، لما كان لذكر اليهود والنصارى والصابئين في الآية معنى إذ لا فائدة في قوله «الذين آمنوا»، إلّا أن يستوعب كلّ مَن يدخل في الإيمان من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم، وإلّا لما بقي فرق بين قوله «الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين إذا آمنوا» وبين قوله «الذين آمنوا والذين آمنوا». وهذا تكرار لا يفيد معنى، وليس للمسلمين أن ينسبوا مثل هذا إلى **القرآن**.

وأيضًا فلو كان المبذول في هذه الآية من الأجر في الآخرة لليهود والنصارى والصابئين مقرونًا بشرط الدخول في الإسلام، أوجب أن يكون المجوس والهنود إذا أسلموا

www.christianlib.com

خارجين عن الشرط وممنوعين من البذل، ولزم أنّه لو أسلم بعضهم وغيرهم من عبدة الأصنام لا يقبل إسلامه لتخصيص اليهود والنصارى والصابئين بذلك . فإذا كان هذا عندهم غير واجب، بطل أن تكون هذه الآية منسوخة، وبطل أن يكون المبذول منها لليهود والنصارى والصابئين مقرونًا بشرط الدخول في الإسلام، وثبت أنّ المراد بها هو أنّ الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحًا من اليهود والنصارى والصابئين لهم أجرهم عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وإذا ثبت ذلك، ثبت أنّ النصارى موحّدون.

وقال الطبريّ في شرح هذه الآية: «إنّ الذين صدّقوا الله ورسوله هم أهل الإسلام والذين هادوا هم اليهود. وإنّ من الصابئين مَن آمن بالله وقد بيّنّا أمرهم والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وصدق بالبعث والنشور بعد الموت عمل صالحًا لمعاده فلا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة ولا هم يحزنون على ما خلّفوه وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما أكرمهم الله به من جزيل ثوابه». فقد دلّ هذا القول من الطبريّ رحمه الله على أنّه كان يعتقد أنّ مَن آمن بالله واليوم الآخر من اليهود والنصارى والصابئين وعمل صالحًا استحقّ النعيم في الآخرة.

www.christianlib.com

ونذكر أيضًا: ﴿وَلَا تَنكِحُوا ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ (**سورة البقرة ٢٢١**). فلو كان النصارى مشركين لما جاز أن تنكح بناتهم إلّا بعد أن يسلمن، والآن هنّ ينكحن ولو بقين على مذهبهنّ فعُلم بذلك أنّ النصارى غير مشركين.

ويثبت ذلك بما ورد في سورة آل عمران ١١٣-١١٤: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. فمعلوم أنّ الأمّة القائمة المذكورة في هذه الآية هي بعض ملل اليهود أو النصارى. و**القرآن** يشهد على شدّة عداوة اليهود وقساوة القلب والمكر، ويشهد على قرب مودّة النصارى والسرعة إلى الخيرات وعمل الصالحات، وذلك ممّا يدلّ على أنّه بقوله «أمّة قائمة» قد أراد النصارى لا اليهود. فإذا ثبت ذلك، ثبت أنّ النصارى موحّدون لا مشركون.

كذلك جاء في سورة الحجّ ٤٠: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾. فلو كان النصارى غير موحّدين، لما شهد أنّهم يذكرون اسم الله في بيعهم كما يذكره المسلمون في

www.christianlib.com

مساجدهم، إذ لا يذكر اسم الله إلّا الموحّدون، ولَما كان يساوَى بين المساجد والبيع.

وفي السورة السابقة (**الحجّ** ١٧): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. معلوم أنّه لو كان النصارى مشركين، لما مُيّز في هذه الآية بينهم وبين الذين أشركوا.

وفي سورة التوبة ٥: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾. هذه الآية توجب قتل المشركين حيث وجدوا سواء أعطوا الجزية أم لم يعطوها. ويوجب **القرآن** حقن دماء النصارى، وأكل ذبائحهم، ومخالطتهم وحراستهم، إذا أعطوا الجزية، كما يحرس المسلمون. وذلك ممّا يدلّ على أنّهم موحّدون لا مشركون.

وفي سورة المائدة ٦٦: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾. قال مجاهد: «إنّ الأمّة المقتصدة هي مؤمنة من أهل الكتاب». وقال قتادة: «أيّ من أهل الكتاب أمّة مقتصدة على كتاب الله وأوامره». وقال السنديّ: «هي المؤمنة». وقال ابن يزيد: «المقتصدة هي أهل

www.christianlib.com

الطاعة لله من أهل الكتاب وهي ممّن يقبل التوراة والإنجيل»، ولم يقبل التوراة و**الإنجيل** أحد سوى النصارى فهُم إذًا موحّدون.

ونجد في سورة المائدة ٨٢: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾. فقد مُيّز النصارى عن المشركين في هذه الآية تمييزًا يدلّ على أنّ النصارى موحّدون غير مشركين. وقال أبو جعفر الطبريّ في تفسير هذه الآية بعد أن أورد تأويلات المتقدّمين واختلاف المفسّرين فيها ما شَرْحُه: إنّ الصواب في ذلك عندنا أن يقال إنّ الله تعالى أخبر عن النفر الذين أثنى عليهم من النصارى بقرب مودّتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله، وإنّ ذلك إنّما كان منهم لأنّ منهم أهل دين واجتهاد في العبادة وترهّب في الأديرة والصوامع، وأنّ منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها، فهم لا يبعدون عن المؤمنين لتواضعهم للحقّ إذا عرفوه، ولا يستكبرون قبوله إذا تثبّتوه، وليس كاليهود الذين قد تدرّبوا بقتل الأنبياء والرسل ومعارضة الله في أمره ونهيه وتحريف التنزيل الذي أنزل في كتبه. فقد دلّت هذه الآية وتفسيرها على أنّ النصارى أقرب

www.christianlib.com

الناس مودّةً إلى المسلمين، وأنّهم مجتهدون في الطاعة لله، وفي النتيجة أنّهم موحّدون لا مُشْرِكون.

قال الوزير: إنّ النصارى المذكورين في **القرآن** غير نصارى هذا الزمان.

قلت: لو كان النصارى المذكورين في **القرآن** غير نصارى هذا الزمان، لما وجب أن يرضى منهم بالجزية المفروضة في **القرآن** والتي أخذوها من نصارى ذلك الزمان، ولما وجب أن تؤكل ذبائحهم وتنكح بناتهم كما كانت تنكح بنات أولئك وتؤكل ذبائحهم. وإذ يجري المسلمون في هذا الزمان مع النصارى مجراهم مع النصارى المتقدّمين في الجزية والذبائح، فثبت أنّهم النصارى المذكورين في **القرآن**. وهكذا فهمه مفسّرو **القرآن**، ولم يفرّقوا بين نصارى زمانهم وغيرهم من الذين كانوا في عهد **القرآن**. قال أبو جعفر الطبريّ في تفسير قوله (**سورة المائدة ٥**): ﴿**ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ**﴾. فسّره الطبريّ بما نصّه: «وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى وهم الذين أوتوا الكتاب أي التوراة والإنجيل أوتوا بهما أو بأحدهما حلّ لكم دون ذبائح أهل الشرك الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب وعبدة

www.christianlib.com

الأصنام والأوثان ممّن لم يذكر توحيدهم كما كان دين أهل الكتاب فهؤلاء حرام عليكم ذبائحهم». فقد يدلّ هذا القول على أنّه قد حرّم على المسلمين ذبائح أهل الشرك، وأنّه لم يحلّل لهم غير ذبائح الموحّدين من اليهود والنصارى، وإذا كان الأمر على هذه وكان المسلمون مجمعين على أنّ أكل ذبائحنا حلال، وجب أن يجمعوا على أنّنا الموحّدون المذكورون في **القرآن**. ولا يمنع توحيدنا إقرارنا بالأقانيم الثلاثة. قال القاضي أبو بكر محمّد بن الطيّب المعروف بابن الباقلّاني في كتاب **الطمس** ما شَرْحُه: أعلم أنّ النصارى إذا حقّقنا معهم الكلام في قولهم إنّ الله جوهر ذو ثلاثة أقانيم لم يحصل بيننا وبينهم خلاف إلّا في الاسم، لأنّهم يقولون إنّ الله جوهر لا كالجواهر المخلوقة، بمعنى أنّه قائم بذاته والمعنى صحيح، ولكنّ العبارة فاسدة لأنّ الأسماء يرفع فيها إلى أهل اللسان ولم يطلق عليه تعالى أحد منهم اسم الجوهر. ولكنّ الكلام معهم في تثبيت النبوّة كاليهود. فإن كان هذا القاضي يقول مثل ذلك، فقد وجب على كلّ من يفضّله ويقبل قوله الاعتراف بأنّ النصارى موحّدون.

قال الوزير: أمّا قول ابن الباقلّاني فتقليد لم نقبله. وأمّا الأقاويل الأخرى التي ذكرتها فقد حسن موقعها في نفسي.

www.christianlib.com

المجلس الرابع

في تثبيت مذهب النصارى من موجب العقل والمعجز

وفي يوم الخميس الثالث من جمادى الآخرة استدعاني الوزير إلى مجلسه فصرت إليه، وما إن صرتُ إليه وجلست حتّى قال لي:

ما العلّة في محبّة غالبيّة الناس أديانَهم أكثر من محبّتهم أحوالَهم وأسبابهم؟ قلتُ: إنّ الناس في ذلك على ضربَيْن: فمنهم من يحبّ دينه بالعادة ومتابعة أسلافه، ومنهم من يحبّه لتحقّقه وصحّته.

قال: فمن أين يتحقّق الإنسان صحّة دينه؟

قلتُ: إمّا من العقل الصحيح وإمّا من المعجز الإلهيّ.

قال: فهل محبّتكَ أنت مذهبَك محبّةُ العادة ومتابعة

www.christianlib.com

أسلافك، أم محبّة مَن يتحقّق صحّة مذهبه؟

قلتُ: محبّة مَن يتحقّق صحّة مذهبه.

قال: فتحقُّق صحّة مذهبك من أيّ وجهٍ هو، أمن العقل أم من المعجز الإلهيّ؟

قلتُ: منهما معًا.

قال: وكيف ذلك؟

قلتُ: أمّا من العقل فلأنّي رأيتُ أنّه لا ينتقل أحد من مذهب إلّا لأحد أمرَيْن: إمّا رغبة وإمّا رهبة. فأمّا الرغبة فبمنزلة الصلة والأموال والعطايا والإباحة في اللذّات والتنقّل من أمر صعب إلى أمر سهل وما شاكلَ ذلك من الأمور التي تتوق النفس إليها. وأمّا الرهبة فمثل الخوف من القتل واستباحة الحريم وما شاكل ذلك ممّا تكرهه النفوس.

ووجدت المتنقّلين إلى مذهب النصرانيّة ينتقلون إليه لأحد هذين الأمرَيْن، وذلك لأنّ الداعين إليه كانوا السادة الرسل وكانوا ذوي فاقة ومسكنة، لا أرباب أموال فيبذلونها لمن يتبعهم، إذ يستحيل أن يكونوا ذوي أموال والكتاب الذي معهم يحثّهم على طَرْح الأموال الدنيويّة. ثمّ لم يبيحوا أيضًا

www.christianlib.com

عن اللذّات لأنّ الكتاب الذي في أيديهم يأمرهم بطرح لذّة الطعام والشراب وترك الدنيا وسائر نعيمها، ولا نقلوا من أمر صعب إلى أمر سهل، لأنّ كتابهم يأمرهم بعكس ذلك.

ولا نقلوا المدعوّين إلى النصرانيّة بالخوف والسيف والأمور المفزعة، لأنّ الكتاب الذي معهم يأمرهم بالتواضع واحتمال المكاره والإحسان إلى الأعداء والدعاء لهم وعرض الدين على الناس بالقول مع الزهد في الدنيا وجميع لذّاتها. فمَن قبلَ الدعوة ودخل في دين النصرانيّة أُلزم تفريقَ أمواله واحتمال أعدائه وترك عزّة النفس والتفاخر بالدنيا. ومَن لم يدخل فيه ناصب الداعي وقاومه، وإن رام قتله بذل الداعي نفسه له حتّى يقتله من غير الاستغاثة عليه ببعض المخلوقين.

فلمّا رأيتُ ذلك ووجدت أنّه لم يدخُلْ في دين النصرانيّة فلاسفةُ اليونان وحكماؤهم وأمم كثيرة وملل مختلفة وممالك متباينة مثل الروم والإفرنج والبلغار والقبط وأهل النوبة والأرمن والسريان والفرس والترك وأهل الصين وغيرهم من الأمم لرهبة خافوها ولا لرغبة رجوها، علمتُ أنّهم إنّما لم يدخلوا فيه إلّا لمعجزٍ إلهيّ قادهم إليه. وهذا ممّا استدللتُ به من العقل على صحّة مذهب النصرانيّة.

www.christianlib.com

فأمّا ما استدللتُ به من المعجز على صحّة ذلك فهو أنّني شاهدت أشياء كثيرة عجيبة يجب على من شاهدها أو بعضها أن يلزم نفسه الموت في محبّة دينه. فممّا شاهدتُه أنّه كان في عُمْر مار ميخائيل في الموصل راهب شيخ فاضل اسمه يوحنّا ويعرف بالأعرج، وكنتُ من بعض تلاميذه المتخصّصين به. ولمّا حصلتُ بالموصل وكانت لحسام الدولة وجناح الدولة رحمهما الله، أُقيم ناظرٌ عليها من قبل أحدهما هو أبو الحسن بن سرور رحمه الله، فاستدعاني هذا الراهب في بعض الأيّام وقال لي: أريد أن تمضي إلى أبي الحسن بن سرور وتقول له عنّي أن ينتبه إلى نفسه فيهرب أو يستتر؛ فإنّ نيّة صاحبه قد تغيّرت تجاهه وأنا خائف عليه، فقلتُ: السمع والطاعة وأنا أدخل عليه إذا أمسى النهار وأبيتُ عنده وأعرّفه ما رسمتَه. فانفصلت عنه على هذا. فلمّا أضحى النهار أنفذَ في طلبي دفعة ثانية فمضيت إليه فقال لي: أعلم أنّ أمر أبي الحسن قد قويَ وإن انتصف النهار ولم يهرب خفتُ عليه والآن قمْ مسرعًا فلعلّك تنذره قبل أن يؤخذ. فقمت في الحال من باب قِلّايته وتوجّهتُ إلى الموصل مسرعًا. فلمّا وصلتُ إلى الدير الأعلى سمعتُ أذان صلاة الظهر فأسرعتُ في المشي ووصلتُ إلى دار أبي الحسن فوجدتُه قد قُبض عليه في ذلك

www.christianlib.com

الوقت وهو مقيّد. فرجعتُ إلى العُمْر على حالي وعرَّفت الراهب ما جرى. فاغتمّ ودعا له بالخلاص، ولمّا بكّرتُ إليه من الغد قال لي: إعلم أنّ أمر أبي الحسن يقرب ويخلص. وبعد أيّام يسيرة قرّر أمره على شيء قريب وأفرج عنه.

وشاهدتُ من هذا الراهب غير أشياء عجيبة ليس يحتمل الوقت شرحَها. ولم أورد هذا الخبر وأنا أطلب إلى الوزير حرسه الله قبوله ولا غيره من المسلمين أيّدهم الله، لكنّي أستفتيه استفتاءً في ذلك فأقول: ماذا يقول الوزير في مَن شاهد هذا وحقّقه. أليس هو حجّة الله عليه فيلزمه التمسّك بالمذهب الذي شاهد ذلك منه. قال: إذا صحّ الخبر لزم التمسّك بذلك الاعتقاد.

قلتُ: «أنا أقنع بذلك وأمتثله، فإذا كان الأمر على هذا ثبت أنَّ محبّتي مذهبي ليست محبّة العادة ومتابعة أسلافي، لكنّها محبّة مَن قد تحقّق صحّة مذهبه من العقل والمُعجز». ثمّ عدل الوزير إلى المفاوضة في ما لا يتعلّق بالدين. وانقضى المجلس.

www.christianlib.com

المجلس الخامس

في براءة النصارى من كلّ مذهب يخالف الحقّ

وفي يوم السبت الخامس من جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الوزير فقال لي: إعلم أنّي شرحتُ للقاضي أبي يعلي المتكلّم حالَ المجالس التي جرت بيني وبينك وما سمعته منك في التوحيد، فأنكره وذكر أنّ النصارى لا يعتقدون شيئًا من ذلك وأنّك أوردت ما أوردته رغبة في إزالة الشبهة والفظاعة عن مذهب النصرانيّة. وحكى أنّ النصارى لا يتمكّنون من الإقرار بربٍّ واحد ولا من القول إنّ الله واحد وحده لا شريك له. فما عندك في ما ذكره؟

قلت: أنا أكتب فصلًا بخطّي وأعرضه في حضرة الوزير أيّده الله فيعلم منه أنّنا لا نعتقد إلّا إلهًا واحدًا لا إله غيره، وأنّ ما أوردتُه في الحضرة العالية أعتقده أنا وأهل مذهبي.

وبعد ما جرى بيني وبينه مذاكرةٌ ومفاوضة في ما لا يتعلّق

www.christianlib.com

بالمذهب، خرجتُ من عنده. وعند حصولي في قلّايتي كتبتُ فصلًا هذه نسختهُ:

يقول إيليّا مطران نَصيبين: «إنّنا معشر النصارى الموحّدين نؤمن بربٍّ واحد لا إله إلّا هو وحده لا شريك له في الأزليّة ولا مثيل له في الذاتيّة ولا نظير له في الربوبيّة، ولا صاحب له يعاونهُ ولا ضدّ يقاومه ولا نِدّ ينازعه، وإنّه غير جسم وغير مركّب وغير مؤلّف وغير محسوس وغير متحيّز وغير متبعّض وغير مستحيل. فلا يشغل حيّزًا ولا يقبل عرضًا ولا يحويه مكان ولا يحصره زمان. قديم بلا ابتداء، باقٍ بلا انتهاء. خفيّ في ذاته، ظاهر في أفعاله، منفرد بالقدرة والكمال، متوحّد بالعظمة والجلال، معدن النعم وينبوع الحكم، محدث كلّ شيء من لا شيء، منشئُ كلّ الموجودات من غير مادّة. صانع الخلائق بأمره ومكوّن البرايا بمشيئته. عالم بالأمور قبل كونها وعارف بالسرائر قبل إضمارها. حيّ لا يموت، ثابت لا يزول، قويّ لا يحول، قادر لا يعجز. قريب لكلّ أحد، مجيب لمن يدعوه، مغيث لمن يرجوه. كافٍ لمن يتوكّل عليه، ملجأ لمن يلتجئ إليه. يدين النعم إذا قوبلت بالشكر ويزيلها إذا قوبلت بالكفر؛ يعين الصالحين، يجيب الطائعين. عدوّ العاندين، قابل للتائبين، غيّاث للمستغيثين. إله رحيم، ربّ

www.christianlib.com

كريم، خالق حكيم. خلق الدنيا لما شاء وكما شاء ويفنيها إذا شاء كما شاء. ثمّ يأذن بالبعث والنُشور ويُحيي مَنْ في القبور. ويجازي الأخيار بإيصالهم إلى النعيم، والأشرار بتخليدهم في الجحيم. إله واحد، خالق واحد، ربّ واحد، معبود واحد. لا إله قبله، ولا بعده، ولا خالق إلّا هو. ولا ربّ غيره ولا معبود سواه.

ولمّا كان من الغد حملتُ هذا الفصل إلى الوزير وعرضته عليه، فلمّا قرأه قلتُ له: أيجوز أن يطلق مثلي خطّه بما قد تضمّنه هذا الفصل، وهو وأهل بيته يعتقدون غير ما يقتضيه مضمونه؟ قال: لا. قلت: قد بطل قول من حكى في حضرة الوزير أيّده الله إنّ النصارى غير موحّدين. وإنّ الذي أوردته عنهم هو غير ما يقتضيه اعتقادهم، وأنا إنّما قصدت به فقط إزالة الشنعة عنه. قال: الأمر على ما ذكرت وأنا أعتقد أنّ كلّ من هو على هذا الرأي وهذا المذهب هو موحّد ولا خلاف بينه وبين المسلمين إلّا في نبوّة محمّد بن عبد الله. ثمّ قال: أريد إذا سرنا من نصيبين أن تكتب رسالة في التوحيد تُضمّنها جميعَ ما أوردته عليَّ في هذه المجالس وتجعل أوّلها هذا الفصل وتختمها بآخره وتضيف إليها ما تعلم أنّه مفيد ممّا لم يجرِ في هذه المجالس.

www.christianlib.com

فأجبته بالسمع والطاعة وامتثلتُ مرسومه بعد مسيره، فكتبت الرسالة على مقتضى مشورته ورسمه وقد كنتُ أنفذ إليه أدام الله حراستك نسختها، وهي آخر ما جرى معه في أمر المذهب، والسلام.

www.christianlib.com

المجلس السادس

إعتقادُ النصارى المسلمين

ثمّ سألني وقال: وكيف اعتقادُكم المسلمين وغيرَهم من مخالفيكم؟

قلتُ: إنَّ الذي نعتقدهُ عند المسلمين حرسَهم الله هو أنّه تلزمنا طاعتهم ومحبّتهم أكثر ممّا تلزمنا طاعة جميع أهل الملك والممالك المخالفة إيّانا، سواء كنّا في بلادهم أم خارجها، سواء أحسنوا إلينا أم لم يحسنوا. وذلك لأنّ المسلمين يرون صيانتنا وتعزيزنا والإحسان إلينا ديانة وفرضًا. ومَنْ تعدّى علينا منهم كان صاحبهم، أي نبيّهم خصمهُ يوم القيامة. وشرعهم يحمدنا ويميّزنا من بين سائر أهل المُلك، وأمّا المجوس والهنود والصابئة وسائر المخالفين إيّانا فليس يرون إجمال مقالتنا والاتّكاء علينا إذا أصبحنا ذمّة لديهم، ليس في الدين بل في السياسة، وليس يبقون علينا إن أبقوا ولا يُجملون معاملتنا إن أجملوا إلّا السياسة. وإذا كان المسلمون

www.christianlib.com

حرسَهم الله يرون ترك أذيَّتنا وإجمال معاملتنا والإحسان إلينا ديانةً، وغيرهم إنّما يفعل ذلك سياسةً فتلزمنا طاعة المسلمين ومحبّتهم أكثر ممّا يلزمنا لغيرهم من مخالفينا.

وممّا يوجب علينا أيضًا ذلك أنّ المسلمين يعترفون بالمسيح ويعتقدون أنّه كلمة الله وأنّه حيّ في السماء، والملل الأخرى تجحده وتعتقد أنّه ساحر كذّاب قد مات وبلي في الأرض، وليس يجوز أن يكون عندنا أهل ملَّةٍ يعتقدون بالمسيح الاعتقاد الأوّل ولو أساؤوا إلينا وتعدّوا علينا مثل أهل الملل الأخرى التي تعتقد بالمسيح الاعتقاد الثاني، ولو أحسن أهلها إلينا وأنعموا علينا.

ثمّ إنّ المسلمين أيضًا حرسَهم الله إذا ظلمونا وأذونا ثمّ رجعوا إلى شرعهم وجدوه غير حامد لهم على أذيّتنا وظلمنا، وأهل الملل الأخرى إذا أكرمونا وأحسنوا إلينا ورجعوا إلى شرعهم وجدوه غير حامد على ذلك. فأذيّة المسلمين إيّانا وتعدّيهم علينا وهم يعتقدون أنّهم مخالفون شرعَهم في ما يفعلونه معنا من ذلك أحبُّ إلينا من إحسان غيرهم ممّن يعتقد أنّه مخالف شرعَه في إحسانه إلينا.

وأيضًا ليست ملّة من الملل المخالفة الإسلامَ أقرب مودّةً

www.christianlib.com

إلى المسلمين من ملّة النصارى لأنّ جميع الملل المخالفة المسلمين تخالفهم في ما لا تخالفهم فيه ملّة النصارى. فإنّ المجوس والهنود والصابئين يخالفون المسلمين في موسى والمسيح ومحمّد بن عبد الله، واليهود يخالفونهم في المسيح ومحمّد بن عبد الله. أمّا النصارى فما يخالفونهم إلّا في نبوّة محمّد بن عبد الله. ومع مخالفتهم إيّاهم في ذلك فهم يدعون لدولتهم، ويسألون الله تعالى دوامها، وأن يسبغ عليهم رحمتهُ في الآخرة، ويوفّقهم لطاعته، ويغفر ذنوبهم، ويورثهم النعيم في الآخرة.

وأمّا الملل الأُخرى فمع بعدها عن المسلمين أكثر من بعد النصارى، ليس فيها ملّة تستجيز أن يدعوا لهم بما يدعوه لهم به النصارى. وإذا كان الأمر على هذا، فقد وجب على النصرانيّ ألّا يخالف المسلم إذ سامهُ ما يخالف شرع أحدهما، أعني شرع الإسلام أو شرع النصارى، ومتى خالفه فقد خالف الله تعالى الذي فرض علينا الطاعة للسلطان بعد طاعة الله. وشرعنا يتضمّن أنّ مَن خالف أمر السلطان فقد خالف أمر الله تعالى. فكلّ نصرانيّ يخالف المسلم إذا سامه شرع الإسلام أو شرع النصرانيّة، فقد أطاع ذلك النصرانيّ الله تعالى في تلك المخالفة وأحسن إلى ذلك المسلم واستحقّ

www.christianlib.com

الشكر منه إذ نزَّههُ من مخالف دينه وشرعه. وذلك أنّه قد فرض على المسلم ألّا يُكرهَ النصرانيّ على دينه وفروضه ولا يغصبهُ شيئًا من حقوقه ولا يقصد أذيّته والتحامل عليه.

فمتى حفظ المسلم هذه الفروض لزم النصرانيّ ألّا يخالفه في سواها. وذلك مثل مستور يلتمس من نصرانيّ موسر ما يدفع به ضيقته. ومثل مسلم يقع في شدّة ويلتمس من نصرانيّ أن يساعده مساعدة يقدر عليها. ومثل مسلم يسوم نصرانيًّا أن يعيره جاهه في حاجة تعرض له أو يدفع عنه أذيّة يتمكّن من دفعها بالحيلة أو بالقوّة. ومثل مسلم مظلوم يهرب من ظالمه ويلتجئ إلى النصرانيّ وما شاكل ذلك من المآسي التي ينتفع بها المسلم وليس فيها مخالفة للشرع، فإنّه يلزم النصرانيّ السعي إليها والمساعدة عليها إذ ليس فيها عليه مضرّة في دينه.

فهذا ما يلزمه النصارى المسلمين، وكذلك يلزم المسلمون النصارى أن يقرّبوهم، ويحسنوا إليهم، ويميّزوهم أكثر من سائر الملل، وأن يعتمدوا صيانتهم وتجنّب ظلمهم وكفّ الأذيّة عنهم وعن بيعهم وبيوت صلواتهم وإكرام متقدّميهم، وألّا يعارض حُكّام المسلمين حرسَهم الله حكّامَهم في أحكامهم. وإذ جاء أحدُ النصارى إلى حاكم المسلمين يلتمس أن يحكم بينه وبين نصرانيّ آخر مثله يردّه إلى أهل دينه وحُكّامه.

www.christianlib.com

المصادر

- إبراهيم (المطران يوحنّا)، **قبول الآخر**، قدموس، سوريا، ٢٠٠٦.
- أبونا (الأب ألبير)، **أدب اللغة الآراميّة**، ط٢، دار المشرق، ١٩٩٦.
- أبونا (الأب ألبير)، **تاريخ الكنيسة السريانيّة الشرقيّة**، ج٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٣.
- إسكاتولين (الأب يوسف بطرس)، **دروس في التصوّف الإسلاميّ**، محاضرات ألقاها في معهد اللاهوت، السكاكيني - القاهرة، سنة ١٩٨٩-١٩٩٠.
- أوليري (د. لاسي)، **علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٦٢.
- جانتسا (الأب جان ماريا)، مجلّة **اللقاء**، سنة ١٤، ع١ لسنة ١٩٩٩.

www.christianlib.com

- حبّي (الأب د. يوسف)، **حنين بن إسحاق**، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، ١٩٧٤.

- حشيمه (الأب كميل اليسوعيّ)، **علماء النصرانيّة في الإسلام ٦٢٢-١٣٠٠: لويس شيخو** (سلسلة «التراث العربيّ المسيحيّ»، رقم ٥)، المكتبة البولسيّة، لبنان، ١٩٨٣.

- خليل (الأب سمير اليسوعيّ)، **مقالة في التوحيد للشيخ يحيى بن عدي**، (سلسلة «التراث العربيّ المسيحيّ»، رقم ٣)، المكتبة البولسيّة، لبنان، ١٩٨٠.

- خليل (الأب سمير اليسوعيّ)، **النبوءة في المسيحيّة والإسلام**، محاضرات ألقاها في معهد اللاهوت، السكاكيني-القاهرة، ١٩٩٥.

- خليل (الأب سمير اليسوعيّ)، مقالة بعنوان: «التراث العربيّ المسيحيّ القديم وتفاعله مع الفكر العربيّ الإسلاميّ في كتاب بعنوان: **وثائق عصريّة في سبيل الحوار...**»، المكتبة البولسيّة، بيروت، ١٩٩٩.

- ساكو (الأب لويس)، «بيبليوغرافيا حوارات مسيحيّة-إسلاميّة باللغة السريانيّة» (بالفرنسيّة)، مجلّة **إسلامو-كريستيانا**، عدد ١٠، سنة ١٩٨٤، ص ٢٧٣-٢٩٢.

www.christianlib.com

- ساكو (الأب لويس)، **محاضرات في الإسلام** (ملزمة)، بغداد، ٢٠٠٠.
- فييه (الأب جان موريس)، **أحوال النصارى في خلافة بني العبّاس**، دار المشرق، ١٩٩٠.
- قنواتي (الأب جورج شحاتة)، **المسيحيّة والحضارة العربيّة**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤.
- نجّار (رمزي)، **الفلسفة العربيّة عبر التاريخ**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧.

– Bénédicte LANDRON, *Chrétiens et Musulmans en Iraq: attitudes Nestoriennes vis-à-vis de l'Islam*, Paris, 1994.

www.christianlib.com

فهرس المحتويات

مؤلّفاته ٦
من هو أبو قاسم المغربيّ؟ ٦
كتاب المجالس ٧
أسلوبه وحِجّته ٩

نصوص مختارة من المجالس ١١
المجلس الأوّل : **التوحيد والتثليث** ١٢
المجلس الثاني : **في حلول ابن الله واتّحاده بالطبيعة البشريّة** ٢٩
المجلس الثالث : **في إقامة الدليل على توحيد النصارى من القرآن** ٣٧
المجلس الرابع : **في تثبيت مذهب النصارى من موجب العقل والمعجز** ٤٧
المجلس الخامس : **في براءة النصارى من كلّ مذهب يخالف الحقّ** ٥٢
المجلس السادس : **إعتقادُ النصارى المسلمين** ٥٦

المصادر ٦٠

www.christianlib.com

www.christianlib.com

صدر في «موسوعة المعرفة المسيحيّة»

الفكر العربيّ المسيحيّ

١ - أبو قرّة: السيرة والمراجع.
٢ - أبو قرّة: المؤلّفات.
٣ - حنين بن إسحق: «في الأعمار والآجال».
٤ - دور المسيحيّين الثقافيّ في العالم العربيّ (١).
٥ - دور المسيحيّين الثقافيّ في العالم العربيّ (٢).
٦ - ثاودُورُس أبو قرّة: «ميمر في الحرّيّة» (١).
٧ - ثاودُورُس أبو قرّة: «ميمر في الحرّيّة» (٢).
٨ - علماء مسيحيّون في ديار الإسلام ٦٢٢م-١٣٠٠م.
٩ - الجاثليق طيموتاوس الكبير.
١٠ - إيليّا النّصيبينيّ.

www.christianlib.com

www.christianlib.com

تصميم الغلاف : **جان قرطباوي**

الصفّ والإخراج : **تانيا زيدان**

الطباعة : **مؤسَّسة دكّاش للطباعة**

١٧٨٩-١,٥-٣٠/١١/٢٠٠٩

www.christianlib.com

www.christianlib.com

المطران لويس ساكو رئيس أساقفة كركوك للكلدان. عمل مديرًا للمعهد الكهنوتيّ البطريركيّ (١٩٩٧-٢٠٠١)، وأستاذًا في كليّة بابل للفلسفة واللاهوت. أصدر عدّة كتب منها: **آباؤنا السريان والكنيسة الأولى، الأسرار السبعة في كنيسة المشرق، الكنيسة الكلدانيّة خلاصة لاهوتيّة**. وله أيضًا عشرات المقالات المنشورة.

منشورات:
دار المشرق ش.م.م.
ص.ب: ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠ لبنان

التوزيع:
المكتبة الشرقيّة ش.م.ل.
ص.ب: ٥٥٢٠٦ بيروت، لبنان

ISBN 2-7214-5303-3
9 782721 453037